## عودة الحاكم العام والقنصل والراج بصحبة الامريكي القبيح مجددا:

# السودان يعود مستعمرا بعد 49 عاما من خروج الانكليز

خديجة صفوت*

■ كيف ملك الانكليز السيطرة على بلد بحجم شبه القارة الهندية بمحض 120 اداري؟ وكيف يسيطر الامريكان على على 40 مليون سوداني حكومة ومعارضة وشعبا؟ وكيف نصدق الغرب وهو الذى يكذب نفسه صباح مساء.

لقد ورث الاستعمار الانجلو امريكي اكثر ما ورث سلفه الانجلوساكسوني فراحت سلطة الاول تصدر عن تغلغل المخابرات وقوات الانتشار السريع وقمع الانتفاضات الشعبية على الخصوص والمظاهرات، فكأن قوات الانتشار السريع وقمع الجماهير تهبط من الفضاء الخارجي في كل مكان وقد قدت فى قالب لكل واحد من البذات والخوذات الشيطانية الى الساترات من «عنف» المتظاهرين. وقد ورثت الشرطة العسكرية طبيعة العنف الانجلو ساكسوني بالضرورة والانجلوامريكي بالنتيجة. وكانت المهمة التحديثية للشرطة وما تزال هي السيطرة على والتحكم في فضاءات حركة الأفراد والجماعات ومعاقبتهم على الخروج عن طاعة الدولة المركزية. وكانت الأخيرة تمثلت فيما تمثلت على مستوى المديريات الداخلية وحكامها وقد وقفوا ممثلين لسلطة الادارة الانكليزية التى تحميها قوة الامبراطورية فى كل مكان. وقد بات ذلك التنويع نموذجا مبكرا سيتم تقليده لاحقا على يد القوات الدولية والمنظمات غير الحكومية وفيالق النسووقراط وامثال البارونة كوكس والنائبة آن كلويد وغيرهن ممن يتعلمن الزيانة (الحلاقة) فى رؤوس اليتامى. فقد تعين مدراء المديريات على ترسيم حدود المديريات داخل الحدود السياسية القانونية التى عينها الانكليز للدولة المركزية فشارفت الاخيرة نظيراتها الجزائرية تحت الاحتلال الفرنسي وكانها اقطاعات خاصة بحدود محروسة بقوانين المناطق المقفولة جنوبا وغربا على الاقل مما مهد Closed Zones laws لاندلاع الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب صبيحة «الاستقلال» أو منتصف ليلة «الاستقلال» الا خمس دقائق. وقد ولد الاخير من ثم خديجا او جنينا ناقصا. وقد انتجت كيمياء «استقلال» بهذا الوصف تشكيلات اجتماعية اقتصادية فاقدة شروط النشوء فالارتقاء. ففيما خلا القوات النظامية سليلة الشرطة العسكرية لم يقيض لشيء شرط النضوج نشوءا الى تنويعة اعلى على نفسه ـ اذا كان ثمة سبيل الى شيء بهذا الوصف فى اي مكان اصلا. ولعل هذه الفرضية حرية بأن تيسر تحليل نكوص السودان والتجربة الديمقراطية الى اشباه مشوهة لما كانت عليه. فما هو سفر تكوين «دمقرطة» السودان «الجديد»؟

### قوات حفظ سلام تفوق قوات الاحتلال

كانت قوات «سودانية» قد فرت من المهدية شمالا فاغويت بالانضمام الى قوات «الفتح» الثاني لـ«تحرير السودان» أو اعادة فتح السودان. وكان من جراء وجود تلك القوات السودانية بين قوات الفتح ان كادت معارك «الفتح» تبدو على الطريق من الشمال الى امدرمان وكأنها حرب اهلية حسب قول فيكتور كيرنان مؤرخ الاستعمار البريطاني الماركسي بلا منازع. وعندما ادرك بعض اعضاء قوات المحاربين السودانيين القدامى حقيقة الفتح لم ينفكوا ان نظموا انفسهم بفكر واع على نحو يثير الدهشة واشعلت ثورة 1924 على الانكليز استجابة جسورة لوحشية الفتح. المهم لم تزد قوات حملة اعادة فتح السودان ـ على 120 الف أي عدد القوات المتتشرة فى دارفور وحدها ومع ذلك قضت على ما يقارب 2200 مقاتل حيث لم يكن اي منهم يملك أكثر من حربة او بارودة. فلم تكلف مجزرة السودانيين فى كررى فى عصرية واحدة من يناير 1898 دافع الضريبة البريطانى سوى شلن واحد من كل منهم. وبالمقابل اهّل ذلك النصر الساحق الماحق كيتشنر لوسام «حرية مدينة ادينبرا» كونه حرر السودان من Freeman-ship of Edinburg بربرية «الدراويش». انظر(ي) كيف توقف المعايير فوق رأسها بأن يسمى العدوان تحريرا وتمفصل الصفات والنعود فى كل مرة اجتزاءا للخصوم وبربرتهم.

وقياسا فان قوات الامم المتحدة حاليا وغيرها يفوق عددها الـ 200 الف وتقف تلك القوات على اهبة الاستعداد لأي طارئ، وقد تسلحت القوات الاجنبية ومتنفذى المنظمات غير الحكومية والخبراء بالكامل فى 30 يوليو يوم وفاة جون جرنج واحتلت مواقع حراسة بعينها مثل الفنادق الكبرى والاذاعة والتليفيزيون ومداخل العاصمة المثلثة مثلا. وتحرس تلك القوات المباني الحكومية الهامة فتحرس قوة من 300 فرد من القوات الاجنبية مقر الامم المتحدة فى الخرطوم. وتوفر نفس القوات الدعم اللوجيستي للقوات السودانية. ويتسكع بعض القوات فى شوارع الخرطوم المتربة او المسفلتة وحول الفنادق المطلة على النيل او على طول شارع القصر وفى احياء «اولاد المصارين البيض» ـ بضم الباء والياء وتسكين الضاد ـ بمعنى الاقارب والانسباء والاسياد الخ. ومع ذلك ورغم مثول أولئك الخبراء وتلك القوات على نحو لا تخطئه العين الا ان احدا لا يتحدث عن ذلك الحضور وكأنها تهيؤات جمعية ودع الفتنة نائمة لعن الله من اوقظها، فقد الف معظم السودانيين مرأى الشرطة العامة والبوليس الخاص والاستخبارات العسكرية والحرس الجمهوري والامن العام وغير ذلك زيادة على القوات النظامية فى شوارع العاصمة المثلثة على الاقل وقبل كل شيء وعند مداخل الجسور وبجوار محطات التليفيزيون والاذاعة.

على أن معظم السودانيين يتنبه مهموما او لا يكترث وقد طحنه افقار غير مسبوق الى الوجود الماثل مجددا لقوات الخواجات من كل ملة من عمال الاغاثة الى القوات الدولية من الاسبان والقبارصة والنورويجيين وقوات الامم المتحدة او قوات الوحدة الافريقية والمنظمات غير الحكومية تلك. وتدرك تلك القوات من خبرتها بنا أن أى انقلاب بملابس عسكرية او بملابس مدنية كان ينجح ما ان تغلق القوات المسلحة اى قوات مسلحة سواء نظامية او شعبية أو ـ وتحتل مواقع رئيسية عند مداخل الجسور ومحطة الاذاعة والتليفيزيون لزوم اذاعة البيان الاول لمجلس الثورة. وفي احدى المرات قامت قوات شعبية باغلاق مداخل المدن وحررت المعتقلين السياسيين ابان انتفاضة 1964.

### كيف نصدق الغرب والاخير يكذب على نفسه صباح مساء؟

كانت قوة البوليس الحربي ـ الكونستابل ـ تنويعا على قوات نظامية من الجيش القائم عند قدمي الحكم المركزي الخراجي في العاصمة وحول المدن الكبرى. وقد جند لتلك القوات افراد وجماعات من القبائل «الضعيفة» والقبائل المعروفة بقدراتها القتالية كالشايقية. وبالمقابل راح الانكليز يعيدون تشكيل القبائل والطرق الصوفية وغيرها وتهجين معظم زعاماتها ـ وكان الاخيرون اقليات قياسا على اتباعهم وحواريهم ـ وصولا الى استيعابهم أو القضاء عليهم كما كان شأن الانكليز مع طرق طوائف وطرق صوفية مثل طائفة الشريف يوسف الهندي في ثلاثينات القرن العشرين. ولا يزيد هذا السيناريو بدوره أو يقل عن اعادة انتاج تنويعة اوربية غربية باكرة للحكومة الفيزيوقراطية ومفهوم دولة الحارس الليلي كون الاخيرة «أفضل حكومة» بوصفها «أقل حكومة». وما ينفك هذا السيناريو يعاد انتاجه مجددا فيعولم اذ لا تخرج اعتبارات أي حكومة من امريكا الى الجابون عن التمأسس فوق اقليات مترأسة على ما عداها في كل مكان.

وكانت نظريات الصفوة قد تعاصرت والفيزيوقراط وقد تخطفت مارجريت ميد Meadبدورها مفهوم الاقلية وذوقته فى مفهوم الصفوة ضمن نص ادبي خلعت عليه صفة علم الاجتماع أو الانثربولوجيا. وحيث تعاصرت نظريات الصفوة ونشوء شرائح سلطة واتت الرأسمالية ما بعد الصناعية من حيث كونها وفرت وصفة ناجزة لاقليات تقليدية واقليات محدثة فقد تهافت الاداريون الاستعماريون على «انجيل» مارجريت ميد وراحوا يدربون اقليات من الاهالي وبعض القبائل الضعيفة او قاموا بتشطير القبائل والطرق الصوفية الكبيرة لانتاج ورثة سلطة «الاستقلال». ولم تزد الاخيرة من ثم على تكريس معايير السلطة الاستعمارية بفلسفة استقلال مظهري لامتدادات الامبراطورية.. فقد كانت الاقليات تعد وتهيأ لاحتلال السلطة عشية «استقلال» مشروط بألا يحدث خروج الاداريين تغييرا يذكر او ينسى فى النسق القديم.. بل يرث الاستعمار الجديد الآتي لا محالة او الذي كان قد انتعل احذية الاستعمار القديم يرث المجتمع المضيف فى انقلاب ابيض لا يشعر به وقد استبعدت كل معارضة ومقاومة بترك قوانين المنظمات المحرمة ومحاربة العصيان وغيرها فى مكانها فى كل مكان في افريقيا ولم يكن السودان بافضل من غيره. ذلك ان استقلالا يتمأسس على شرائح نخبوية حرس بأن يخصم على من عداهم.

وكانت المناداة بحق تقرير المصير والاستقلال قد تعاصرا منذ ثورة 1919 المصرية ومبادئ مشروع ويلسون ومؤتمر باريس في 1919. فلم يكن حق تقرير المصير أقل من نظيره المتخاتل الماثل تباعا فى مشروع الشرق الاوسط الكبير. ذلك ان حق تقرير المصير الويلسوني لم يكن سوى غواية للاقليات التى انفرزت فى منتصف القرن التاسع عشر مع سقوط الامبراطوريات السابقة على الرأسمالية وحسب، وانما والاهم كان حق تقرير المصير تمهيدا لمشروع قيام دولة اسرائيل القومية خصما على كافة القوميات. ذلك ان برامج الرأسمالية كعادتها انتقائية. فقد مفصل حق تقرير المصير بغاية واحدة هى اعطاء اليهود الحق فى دولة مثلما مفصل مفهوم التعددية الحزبية من اجل الجمهوريات الاوربية الشرقية مع بداية نهاية المشروع الاشتراكي وسقوط الاتحاد السوفيتي. ومفصلت الثورات الشعبية المشبوهة والمعدلة جينيا بالالوان الطبيعية لاستقطاب شعوب المجتمعات اللاحقة على سقوط المنظومة الاشتراكية. ومفصلت دمقرطة العراق بغاية اعداد المنطقة لما يسمى بالشرق الاوسط الكبير.

### كيف لم تعد ثمة سلطة يتم تشاركها؟

يؤكد بعض متنفذي الامم المتحدة ـ بخاصة مع اقتحام السيد جون بولتون ممثل الولايات المتحدة اعصاب الاخيرة ـ ان اعداد القوات الاجنبية ـ سواء قوات الامم المتحدة او الولايات الامريكية او المجموعة الاوربية او حتى حلف الاطلنطي فوق قوات الوحدة الافريقية فى السودان ـ حرية بأن تتزايد فلا امل في ان تتناقص فى المدى القريب او البعيد. وقد تقدمت كوندليسا رايس بطلب تقديم عون مادي ولوجيستي للقوات الافريقية فى دارفور من فوق رأس حكومة اتفاقية السلام الشامل. وفيما مر يوم الاثنين 9 كانون الثاني/يناير 2006 عام على توقيع الاتفاقية تتفجر قضية دارفور وشرق السودان. ويتخفى الدافع الحقيقي للحملات الواسعة للاهتمام بحقوق انسان دارفور وشرق السودان في مطامع جماعات ودول فى ثروات دارفور وغيرها. فقد منح امريكي يدعى فريدهيلم ايرونات ـ تحايل على الحصار الامريكى الاقتصادى ـ الذى يمنع تعامل الامريكان مع السودان ـ بالحصول على الجنسية البريطانية بليل فى اكتوبر 2003 وصولا الى التنقيب عن بترول دارفور.

وتملك شركتان احداهما لنجم كروي بريطاني سابق ويمتلك ارونات اسهما محمولة فى شركة كلايفدين المسجلة بجزيرة فيرجين فى 2003. وتملك Cliveden الاخيرة اسهما فى شركة ادفانس بيتروليوم. ورغم المكاتبات المتصلة الملحاحة مع ديفيد كاميرون النائب عن اوكسفوردشير ـ وقد بات رئيس حزب المحافظين «الجديد» ـ لتقصي مصالح ايرونات النفطية فى السودان ـ لم يملك كاميرون البوح بشيء سوى الكلام الذى لا يقول شيئا والا افتضح امر من يتحكمون فى الارض وما عليها..

### من الذى يحكمنا؟

من المفهوم ان يقال ان حركتي الانقاذ وتحرير السودان تحكمان البلد في الشمال والجنوب الا ان السلطة الافتراضية ـ وقد باتت تشارف السلطة الحقيقية فى السودان ـ في يد سياسي هولندي اصلع يدعى أيان برونك. ويردد بعض ممثلى الامم المتحدة سرا بانهم يقولون للحكومة ما يريدونه وما ينوون عمله وان الوزراء يدركون انهم لا يملكون حيلة امام مصداقية السلطة التى تقف وراء تلك «المطالب» «فيخضعون فى صمت وهم يستشيطون غيظا وكمدا» على حد قول بيير تيش فى النيو انترناشيونال بتاريخ 28 نوفمبر 2005. ويدرك معظم السودانيين كغيرهم من الشعوب العربية والاسلامية أنه وان ملكت الحكومات القائمة القوة على المعارضة وعلى الشعب الا انها لا تملك السلطة على البلاد ولا على مقدراتها. فقد نشأت تنويعات مجددة من قناصلة الامبراطوريات أو على الحاكم العام فى معظم الامتدادات السابقة وقد باتت دولا داخل الدول كما في كل مرة ولا غرابة.

وقد بقيت تنويعات على نفس اللحن سواء بصورة معلنة او غير معلنة تعبر عن نفسها فى عموم افريقيا جنوب الصحراء بخاصة حيث النفط والذهب والماء وغيرها من السلع والمواد الاستراتيجية. كما ان ثمة تنويعات ماثلة متستر عليها فى البلقان واوربا الوسطى والشرقية وفي دول بحر قزوين اما فلا هيئة حاكم عام او معتمد او سفير أو حتى شركة اعلانات مثل «بيت الحرية» و«ساتشي وساتشي» (او House of Freedom بالأحرى ساعاتي وساعاتي اليهوديين العراقيين القائمين على مؤسسة بهذا الاسم وغيرها ممن يتعين على انتاج واخراج المعارضات المعدلة جينيا). وقياسا فالسلطة الحقيقية فى البوسنة مثلا فى يد بادي آشداون ممثلا لحلف الاطلنطي وقوات السلام العالمي. ويقول احد الكتاب عن السفير الأمريكي فى القاهرة انه بات محبا للصوفية ويشاهد عند اضرحة اوليائها ويحرص على زيارة مولد السيد البدوي بطنطا سنويا وقد اصطحب ابنته. فمن ذا الذى يملك تحدي احتكار سلطة قوات المجتمع الدولي والقناصل وغيرهم علينا؟

### تنويعات على نفس اللحن

من المفيد تذكر أن ممثل الامين العام الخاص وغيره لا يملك التعبير عن سلطة خالصة مخلصة في وجود معارضة شعبية قوية مثلما حزب الله فى لبنان. ولعل سلطة برونك او السفير الامريكي ما كانت لتفعل ما تفعل فى الخرطوم لو ان قيادة الحركة الشعبية السودانية آلت لسيلفا كير ديمقراطيا كما كان مقيضا لها بعد الموجهات الاخيرة في نهاية عام 2004 وبداية 2005 بين قادة الجيش الشعبي لتحرير السودان. فقد كان سيلفا كير خليفة جرنج بدون منازع ـ كون الآباء السبع الاوائل لحركة تحرير السودان تمت تصفيتهم ـ ولم يبق سوى جرنج وسيلفا كير حتى موت جرنج. ويفترض أن سلفا كير يتميز بالخصائص التاريخية التى بقيت معقودة بصورة عامة على القيادات العسكرية لحركات التحرير المسلح كافة. ففيما خلا كوبا وفيتنام فقد احتكر قادة الثورات المسلحة العسكريين السلطة بعد الثورة خصما على زعماء الثورة السياسيين. فقد خرج تشي جيفارا لاشعال الثورة فى امريكا الجنوبية وكان هو شي منه بلا منازع.

وكان ذلك التقليد يصدر عن تصفية القيادة العسكرية للقيادة السياسية لحركات التحرير من غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وانجولا وموزانبيق والجزائر وكذا حركات التحرير الآسيوية سواء مسلحة او عصيان مدني في مواجهة الاستعمار من الهند واندونيسيا الى الفليبين. وان كان كل من جومو كينياتا وماندیلا وياسر عرفات يبدون استثناءا على القاعدة فقد صفى الاستعمار بعض الاخيرين بمساومات باهظة كان بعضها وبالا على امريكا واسرائيل. ذلك ان بديل عرفات مثلا كان حريا بان يكون حماس جراء افتئات اسرائيل على سلطة عباس سياسيا ومعنويا. وتثير المقاومة مثل حماس وحزب الله حفيظة امريكا ـ رغم ما يسمى بالمقاومة او المعارضة البديلة وربما بسبب كون الاخيرة خرجت ملفقة خائبة لا تقطع ارضا ولا تبقي ظهرا. فقد خيبت المقاومة اللبنانية ـ ثورة الارز ـ ظن ساتشي وساتشي كما خيبت الثورة البرتقالية الاوكرانية رجاء بيت الحرية وكذا رجاء مجاميع المتزلمين ممن يعلن استهجانه للسلطة القائمة ويطرح نفسه او يتزاحم لاحتلال مكان بين صفوف الحكومة كون المتزلمين بدائل جاهزة.

وقياسا يثير استعصاء سورية وايران وكوريا ـ وأي مجتمع لا تحتكر فيه امريكا السلطة الحقيقية قياسا ـ تطير امريكا وغضبها معا. فتناصب الاخيرة أي حركة شعبية تاريخية العداء المعلن والخفي معا. ذلك ان كل ما يستعصي على غواية امريكا وكل من لا تملك امريكا سحقه يقض مضجع البنتاجون على الخصوص. ففكرة ان شيئا يمكن ان يتنفس ناهيك عن ان يملك القدرة على الحياة فيعبر عن نفسه خارج تفوذ امريكا امر غير قابل للاحتمال بل في حكم التجديف بالرأسمالية ما بعد الصناعية او الكفر المشروع الامريكي الجديد. ويمثل حزب الله وحماس والمقاومة العراقية وحركة ابي سياف فى الفليبين والجمعية الاسلامية الاندونيسية شوكة فى جانب امريكا. ولعل وجود جرنج ـ وكان قد حاد عن المخطط الموصوف باعتناق مشروع السودان الجديد حقا ـ كان حريا بان يسقط فى يد الادارة الامريكية.

وتحلق الادارة المذكورة حول سيلفا كير الذى خلفه ويقضي بعضهم اسابيع فى عاصمته ادعاءا للحداد على جرنج. فان استعصى سلفا كير على الغواية واعتصم صامدا في مواجهة الضغوط الابليسية فان ذلك حري بأن يعتبر تشكيكا في سلطة السفير الامريكي او الحاكم العام او القنصل او المحافظ او المعتمد الامريكي وممثل الاطلنطي وممثل المجموعة الاوربية وممثل الامم المتحدة. ان ما تفتقده معظم الدول العربية فى معركة البقاء تحصنا من غلواء العودة الشرسة للاستعمار هو مقاومة غواية السلطة التي يبدو ان لعاب افحل من كان ايديولوجيا يسيل لها فوق شاشات التلفاز علنا والعياذ بالله. ويفتي معظم المعارضين من خندقي الباطل علمانيا او اسلامويا بالاستقواء بالخارج. قد باتت السلطة وكأنها مكافئ للثواب فى الآخرة. فهل ثمة سبيل الى مقاومة «علمانوأسلامية» او «اسلامو علمانية» تترفع عن الاستقواء بالخصوم؟

* كاتبة واكاديمية من السودان تقيم في بريطانيا

# الحرب القادمة: إيـــران

جون بِلْجَر

■ لأكثر من نصف قرن، ظلت بريطانيا والولايات المتحدة تهددان إيران. وفي 1953 أطاحت المخابرات المركزية الـ«CIA»، والـ«MI6» البريطانية، بالحكومة الديمقراطية لمحمد مصدق الزعيم الوطني المرموق الذي آمنَ بأن بترول إيران هو لإيران. وهكذا نُصبَ الشاه الفاسد، وأُقيمت أبشع دولةِ بوليسية في العصر الحديث من خلال وحش هو جهاز السافاك. ثورة 1979 الإسلامية كانت محتومة.

هذه الثورة ليست ذات سيطرة حديدية، إذ أدى الضغطُ الشعبي وحراكُ النخبةِ إلى انفتاح إيران على العالم الخارجي، بالرغم من تعرضها إلى حرب صدام حسين الذي حظيَ بتشجيع الولايات المتحدة وبريطانيا ومساندتهما.

في الوقت نفسه عاشت إيران تحت تهديدٍ حقيقي من هجومٍ إسرائيلي، ربما بالسلاح النووي، وهذا ما سكتتْ عنه «المجموعة الدولية».

قبل وقتٍ قصير، قال مؤرخ عسكري إسرائيلي بارز، هو مارتن فان كريفلد Martin van Creveld: واضح أننا لا نريد أن تمتلك إيران أسلحةً نووية، ولستُ أعرف إن كانوا يطورونها، لكنهم سيكونون حمقى إنْ لم يطوروها.

ليس من المستغرَب أن نظام طهران استوعبَ درسَ كوريا الشمالية، ذات السلاح النووي، التي نجحت في إبعاد الوحش الأمريكي المفترس عنها، بدون أن تطلقَ رصاصةً واحدة.

في فترة الحرب الباردة كانت حجة الاستراتيجيين حول «الرادع النووي» البريطاني تستند إلى التبرير نفسه القائل بضرورة امتلاك بريطانيا السلاح النووي لأن الروس قادمون. لكننا نعرف من الوثائق التي لم تعُدْ سريةً الآن أن ذلك كان محض اختلاق، بالضد من مشروع الهجوم الأمريكي على إيران، الحقيقي فعلاً، والماثل تماماً.

أما السبب الفعلي للهجوم فهو اعتزام إيران في شهر آذار (مارس) القادم، التحول من البترودولار إلى اليورو دولار. هذه الخطوة لها تأثيرٌ كبيرٌ على الدولار الآن، وتأثيرٌ مدمرٌ على المدى البعيد.

الدولار في الوقت الحاضر، ورق لا قيمة له، يحمل دَيْناً قومياً تجاوزَ ثمانية ترليونات، وعجزاً تجارياً تجاوزَ ستمائة بليون دولار. ويقول الاقتصادي جوزف ستغلز الحائز على جائزة نوبل إن كُلْفةَ المغامرة العراقية وحدها قد تبلغ ترليونَينِ اثنين.

أمَا الامبراطورية العسكرية الأمريكية، مع حروبها وقواعدها السبعمئة، ومكائدها الدائمة، فهي مموَلة من جانب دائنين في آسيا، الصين أساساً.

إن ما يخشاه نظام بوش ليس المطامح النووية الإيرانية، لكن تأثير أكبر رابع دولة منتجة ومصدِرة للبترول في كسر احتكار الدولار. هل ستبدأُ بنوك العالم المركزية تبدل احتياطيَها من الدولار إلى اليورو؟

كان صدام حسين يهدد بذلك قبل الهجوم عليه.

البنتاغون يريد احتلال خوزستان حيث تسعون بالمئة من البترول الإيراني. حين تسيطر الولايات المتحدة على بترول خوزستان والعراق، والسعودية بالنيابة، فإنها ستحقق ما سماه ريتشارد نيكسون «الجائزة العظمى بين الجوائز كلها».

في السنة الماضية زودَ البنتاغون إسرائيل خمسمئة قنبلة لـ«تدمير تحصينات تحت الأرض». هل سيستخدمها الإسرائيليون ضد إيران المستميتة؟

ترى استراتيجية بوش النووية في 2002 إمكان «هجوم استباقي» تستخدَم فيه أسلحةٌ نوويةٌ مخفضة الفاعلية

Low-yield nuclear weapons

هل سيستخدمها عسكريو واشنطن، ولو ليقولوا لنا فقط إنهم قادرون، بالرغم من مشكلتهم العراقية، على خوض أكثر من حرب في أكثر من ساحة، والانتصار أيضاً؟

ترجمة وإعداد: سعدي يوسف

# لماذا يصوت الشارع العربي لصالح الاسلاميين؟

د. محمد عجلاني*

■ عندما نصبت الأنظمة الغربية هذه الانظمة العربية الشمولية لم تكن تدري بأن عملتها هذه ستكون مقدمة لوصول الاسلاميين كما يسمونهم في الغرب الى الحكم لأن هذه الانظمة الشمولية التي تدعي العلمانية زكمت انوف الناس بفضائحها وفسادها، وكان من الطبيعي ان ينفر منها رجل الشارع العربي وهو يرى ابناء هذه النخبة تركب السيارات الفاخرة جدا جدا في دمشق والقاهرة والجزائر وغزة بينما هناك المواطن العادي يموت كل يوم كدما وعملا حتى يستطيع تأمين سيارة متواضعة جدا هذا اذا استطاع، والمواطن العادي في دولنا العربية لم يعد يفهم ارتفاع هذه الاسعار الجنوني، وبالطبع عندما تجد ابناء النخبة يشترون بدون محاصصة او اسئلة، التاجر بدوره سيرفع الاسعار، وكل ذلك على حساب المواطن العادي، الفساد الذي احدثته الطبقة الحاكمة العلمانية في تركيا من مسعود يلماز ومرورا بتانسو شيللر اتى بالطيب اردوغان الى الحكم في بلد يعتبر نفسه مقر ومسقط العلمانية.

في الجزائر حزب جبهة التحرير الذي اطلق الرصاصة الاولى للثورة انحرف عن خطه في الحكم واثبت عدم كفاءة ودراية في الادارة، فجاء الشعب بالاسلاميين او ممثلي جبهة الانقاذ الى البلديات التي اداروها بشكل جيد واكتسحوا بعدها الدورة الانتخابية البرلمانية الاولى قبل ان يوقفوا العسكر هذا الفوز الاسلامي الساحق عام 1991.

وحتى بعد حل جبهة الانقاذ صوت الشعب الجزائري في اول انتخابات رئاسية ديمقراطية عام 1995 لصالح مرشح السلطة من الاسلاميين وهو المرحوم محفوظ نحناح الذي حصل على 25 % من الاصوات بعد زروال مرشح العسكر.اما مصر التي انبثقت منها حركة الاخوان المسلمين، وكانت حركة تربوية وتعليمية في البداية قبل ان تتحول الى سياسية، ولو لم يأت عبد الناصر الى الحكم وترك الانتخابات الديمقراطية تجري كما كانت عليه في عهد حزب الوفد والملك فاروق لفاز الاسلاميون بالحكم، ولكن بريق عبد الناصر وتأميم قناة السويس والجلاء الاجنبي عن مصر اجلت وصول الاسلاميين الى الحكم في هذا البلد، لكي يتحول اليوم الى حقيقة واضحة مع دخول هذا العدد الكبير من النواب المحسوبين على التيار الاسلامي الى البرلمان المصري.

واذا انتقلنا الى فلسطين فإن هذا الفوز الساحق الذي احرزته حماس كان نتيجة اخطاء وتجاوزات ارتكبتها منظمة فتح، من فتح كازينو للقمار في اريحا الى ممثليها في الخارج الذين اصبحوا سفراء ليس للسلطة الفلسطينية وانما لهذه الدول التي يقيمون على اراضيها بالطبع استفادت ايضا حماس من مساعدات لوجستيكية هامة وظفتها في مستشفيات وجمعيات خيرية جعلتها محط محبة واحترام لدى الشعب الفلسطيني على حساب فتح التي كانت فتح عرفات وبعد عرفات تاهت وضاعت وفقدت التوجه الصحيح، وبالطبع لا نقلل من تضحيات حماس في الانتفاضتين الفلسطينية الاولى والثانية مما اعطاها زخما اجتماعيا ووطنيا.

اما اذا انتقلنا الى سورية، وهي المرشحة الأكبر في حال حصول انتخابات ديمقراطية حرة ونزيهة ان يقطف الاسلاميون محصلة هذه الانتخابات، فالمساجد اصبحت لا تعد ولا تحصى، والمكاتب تحولت كلها الى مكاتب دينية، وعدد الائمة تجاوز عدد المدرسين والمدرسات، وسيقول الاسلاميون يوما ما شكرا للرئيس الراحل حافظ الاسد الذي كان يخشى ان يقال بأنه معاد للاسلام والمسلمين، وهي عقدة النقص التي لازمته طوال حياته، وحتى بعد مماته حيث طلب ان يصلى عليه من طرف شيوخ الاسلام السنة مما اثار غضب بعض الشيوخ العلويين. وكل هذا وذاك والحكم يتخبط ومستمر في تخبط وسط ترقب من الاسلام الرسمي والشعبي ليكون حاضرا في الوقت واللحظة المناسبتين لكي ينقض على الحكم.

المد الاسلامي آت ولا بد عنه، من الشرق الى الغرب، يتعثر هذا المد، ويدخل في صراع مع هذه الفئة او تلك، ولكنه قادم وهذه المرة عن طريق الاقتراع والصناديق وليس عن طريق الانقلابات والدبابات، ولكن يا ترى هل يملك هذا التيار مفاتيح سحرية لحل مشاكل الدول التي يحكمها التي اصبحت لا تعد ولا تحصى لدرجة تتساءل من اين سأبدأ، من المشاكل الداخلية، البطالة وتدهور العملة والفساد وقلة المياه وضعف الانتاج، أم من المشاكل الخارجية، اسرائيل والعلاقات مع الغرب، انها كلها بمثابة اسئلة ستطرح على من سيحكم هذه البلدان، لان المحاسبة هي احدى مبادئ الحكم الديمقراطي الصالح.

* رئيس مركز دراسات الحياة السياسية السورية ـ باريس

# استراتيجية الروليت الروسي: هاكم «كركوك» واضمنوا لنا رئاسة الوزارة!

علاء اللامي *

### البازار السياسي شمالا:

لأيام عديدة، سبقت اعلان نتائج الانتخابات التشريعية العراقية، غدت مدينة «أربيل» عاصمة الاقليم ذي الأغلبية السكانية الكردية، وبدرجة أقل مدينة السليمانية معقل الزعيم الكردي ورئيس الدولة حاليا جلال الطالباني، مقصدا لوفود سياسية عالية المستوى. فقد زارها، ضمن وفد كبير، السيد عبد العزيز الحكيم رئيس قائمة الائتلاف العراقي الموحد وزعيم حزب المجلس الأعلى، وهو يحمل ـ كما راج وأشيع ـ بطاقة ترشيح ممثل حزبه لرئاسة الوزارة عادل عبد المهدي، وقد قدم الحكيم الكثير من الوعود والتطمينات الخاصة بما اصطلح عليه بـ«تطبيع الأوضاع في كركوك وتفعيل المادة 58 من الدستور» والذي يراد به «تكريد» كركوك والحاقها، بعد استفتاء يلي اعادة مئات الآلاف من المواطنين الأكراد اليها، باقليم كردستان شمال العراق.

ولم يفُت الحكيم أن يطالب بدوره بضمانات كردية لصالح موضوع تحقيق واقامة اقليم الجنوب والوسط الاتحادي، أسوة بالاقليم الكردي الناجز، ومثلما أسمعَ الحكيم مستضيفيه ما يطربهم، فقد سمع منهم ما يطربه. ومع ان الأمر لم يتعدَ الكلام تحت بريق عدسات الصحافيين فقد أثار هذا الغزل السياسي حفيظة أطراف أخرى.

تبع الحكيم بعد أيام قليلة، وفي زيارة مفاجئة وسريعة الى أربيل فالسليمانية، السيد ابراهيم الجعفري، رئيس الوزراء المنتهية ولايته، وقد التقى بدوره بالمسؤولين الأكراد وقدم الكثير من التوضيحات والوعود لامتصاص الغضب الكردي مما اعتُبر مماطلة وتسويفا من قبل وزارة الجعفري في حسم موضوع كركوك والمادة الدستورية 58، وذهب الضيف بعيدا في البرهنة على حسن نواياه وأفعاله بأن حمل الادارة الكردية في تلك المدينة المختلف عليها بين سكانها الكرد والعرب والتركمان والكلدان والآشوريين مسؤولية التلكؤ والتسويف والتأخر في تفعيل الموضوع مقدما العديد من الأدلة والحجج. غير أن الثمن جاء أقل كثيرا مما ترجاه الضيف فلم يزد على تصريح باهت للطالباني قال فيه بأنه لن يعارض ترشيح الجعفري لرئاسة الوزراء مجددا اذا رشحته قائمة الائتلاف. وبعد بضعة أيام حل وفد أحزاب قائمة التوافق ضيفا على أربيل وتلاه في زيارة مماثلة الى السليمانية رئيس قائمة «العراقية» أياد علاوي.. والأكيد أن كلا كان يغني على ليلاه!

### الخيارات الثلاثة:

واضح أن الهدف المعلن لجميع أطراف العملية السياسية التي تدور تحت أنظار الرقيب والمهندس الأمريكي، في الحلبة الكردية وخارجها، هو الحصول على أغلبية الثلثين زائد واحد لتقرير كل شيء بدءا من تعديلات الدستور وليس انتهاء باقرار تعيين الرئاسات الثلاث. وعلى الرغم من الأداء الانتخابي الجيد لقائمة الائتلاف ذات التوجهات الاسلامية الشيعية والذي سيمنحها الأغلبية البسيطة أي النصف زائد واحد بكل تأكيد غير انها تحتاج الى حليف من الوزن المتوسط لضمان الأغلبية المطلقة وهذا الحليف واحد من ثلاثة:

فهو اما أن يكون ممثلا بقائمة «التحالف الكردستاني» المتوقع حصولها على أكثر من عشرين بالمئة من المقاعد، أو «القائمة العراقية» التي يقودها أياد علاوي والتي قد تطال نسبة الخمسة عشر بالمئة، وثالثا وأخيرا «قائمة التوافق» ذات الوزن القريب من «القائمة العراقية». الخياران الأخيران سيظلان أكثر مرارة من علقم التحالف مع قائمة «التحالف الكردستاني» فلا مجال كما يبدو لأي تحالف تعقده قائمة الائتلاف مع قائمة العلمانيين في «العراقية» والا انفرط عقد قائمة «الائتلاف» ذاتها وخرجت منها الكتلة الصدرية ـ أكبر مكوناتها من حيث عدد المقاعد ـ والتي عرف عنها تشنجها السلفي الشديد وغير المبرر ازاء العلمانيين. كما أن التحالف مع قائمة «التوافق» يبدو راهنا أمرا أقرب الى المحال منه الى الممكن لأسباب عدة لعل من أكثرها حراجة اصرار الطرف الذي يقود «قائمة الائتلاف» وهو حزب المجلس الأعلى على اقامة اقليم الجنوب والوسط بما يضمن وضع اليد على معظم الثروة العراقية النفطية والزراعية وهذا أمر ترفضه قائمة التوافق بشكل قاطع ومبرر، وفي ضوء اصرار جميع أطراف هذه القائمة على تنفيذ برنامج اجتثاث البعث الذي تفوح منه ـ بحسب بعض الأنوف الحساسة ـ روائح طائفية نفاذة واستهدافات ذات نوازع ثأرية، ينجو بموجبها كما يزعم البعض البعثي من الطائفة الشيعية مهما كان حجم مرتكباته خلال عهد صدام ويجتث ويعاقب البعثي من طائفة أخرى مهما كانت ضآلة ما ارتكب في ذلك العهد.

### منطق الأغلبية المقلوب:

تقوم استراتيجية حزب المجلس الأعلى للثورة الاسلامية ـ الحكيم، وبدرجة أخف حزب الدعوة الاسلامية ـ الجعفري، على ضرورة الامساك بالجنوب والوسط ضمن اقليم اتحادي ثري وذي ادارة ذاتية وسلطات موسعة قابلة للتطوير وقائم على الانتماء الطائفي فعليا. صحيح أن دعاة الفيدرالية الجنوبية والوسطى ينكرون هذا المسوغ الفعلي لمشروعهم ولكنهم واقعيا لا يستطيعون المضي بعيدا في انكارهم، خصوصا اذا ما قيل لهم اذا كان المسوغ ليس طائفيا فلماذا لا تدرجون المنطقة الغربية ومحافظة الموصل ضمن الاتحادية التي تسعون اليها ليكون العراق مكونا من اقليمين الأول عربي والآخر كردي؟

ومن المفيد التذكير، بأن الكتلة الصدرية، والداخلة حديثا في هذه القائمة، ترفض مشروع اقليم الجنوب والوسط بشكل حاسم، وبدرجة لا تقل عن الأحزاب ذات الجمهور العربي السني الغالب.

### أغلبية تتصرف كأقلية:

الغريب فعلا هو أن الأحزاب الاسلامية الشيعية، التي تغتنم حالة الاستقطاب الطائفي الراهنة والحالة الانفعالية لجمهور واقع تحت ضغط الذكريات الكئيبة لعهد صدام، هذه الأحزاب تتصرف كأحزاب أقلية مع انها تمسك فعلا بالأغلبية الانتخابية والمجتمعية معا. بمعنى أن أحزاب الأغلبية «الاسلامية الشيعية» تستقيل عمليا وبشكل مزرٍ ولا مبرر له عن حكم العراق ككل، وتطالب بحكم الاقليم الذي تشكل غالبيته السكانية وهذا مثال نادر الشبيه في التاريخ السياسي العالمي يصعب تفسيره بضيق الأفق أو قلة التجربة.

يمكن أن نعبر عن المعنى السابق بكلمات أخرى: كان من المنتظر من الأحزاب الاسلامية السنية أو ذات الجمهور العربي السني أن تطالب هي بالمحاصصة الطائفية لضمان مصالحها الطائفية، فيما تجنح الأحزاب الاسلامية الشيعية أو ذات الجمهور العربي الشيعي الى مثيل للعلمانية ولمبادئ المواطنة الحديثة لضمان حكمها للبلد كأغلبية منفتحة على الأقليات بهدف تحقيق أعمق وأسرع عملية اندماج مجتمعي تبرز من خلاله الهوية الانتمائية الحقيقية للمجتمع كمنظومة مواطنية منسجمة لا كيانات طائفية متصادمة ومتقوقعة على ذواتها البدائية.

غير أن ما حدث كان العكس تماما: لقد اندفعت الأحزاب ذات الأغلبية الشيعية الى المطالبة بالمحاصصة الطائفية، ووجدت في الأحزاب القومية الكردية خير حليف لها وللاحتلال الأجنبي، فيما تصرفت الأحزاب السياسية في المعسكر المقابل على أسس وشعارات وطنية، ترفض المحاصصة الطائفية والاحتلال الذي جاء بها معا.. ولا بد من القول: حتى الآن! فالمتغيرات على الأرض تكاد تطيح بالكثير من الثوابت القديمة أو تلك المستجدة بفعل عمق وسرعة التغيرات التي طرأت وستطرأ على موازين القوى السياسية المحلية وعلى المشروع الأمريكي والاستراتيجية الأمريكية ككل، تلك الاستراتيجية التي خلاصتها التبرع بالمسدس بعد تدوير بكرته حسب قواعد الروليت الروسي للطرف الراغب بالضغط على الزناد ومراقبة المشهد عن بعد.

كركوك مقصلة الجميع: كان من مفاجآت الانتخابات التشريعية الأخيرة، وبموجب النتائج الجزئية المعلنة، والخاضعة للتدقيق والمراجعة الآن، أن وزن المكون السكاني الكردي في المدينة وبعد احتساب أصوات من صوتوا لصالح قائمة التحالف الكردستاني أقل كثيرا مما كانت الأحزاب الكردية تزعمه. فرغم حجم التلاعب والتزوير ورغم السماح لأكثر من مائة ألف مواطن كردي يعيشون في محافظات أخرى، نقلوا بالحافلات للتصويت في كركوك، رغم كل ذلك حصلت القائمة الكردية وبشق الأنفس على أكثر من النصف بقليل بمعنى أن تحالفا نشيطا وفعالا بين الأحزاب العربية والتركمانية والآشورية قد تجعل من الصعب تمرير مشروع الحاق كركوك الغنية بالنفط بالاقليم الكردي وقد يدخل المدينة في شبكة مصائر خطرة من الاحتراب والتقسيم وغير ذلك مما لا تحمد عقباه.

لقد طغى موضوع كركوك على ما سواه في المشهد السياسي العراقي الذي أعقب الانتخابات، ويبدو انه سيستمر في السيطرة على خلفية المشهد لفترة قادمة. غير أن الأكيد، هو أن جميع القوى السياسية العراقية ستحاول تخديم واستثمار موضوع كركوك في هذا الاتجاه أو ذاك، باتجاه كسب هذا الطرف أو التضحية بذاك، ولكن المؤكد أكثر هو أن كركوك ستتحول الى مقصلة لكل قوة أو شخصية سياسية تفرط بثوابت التاريخ والجغرافيا لغرض سياسي سريع الزوال. فكركوك التي تلخص الكثير من مشكلات وملامح العراق المعاصر، الى درجة يمكن اعتبارها عراقا مصغرا من حيث التركيبة السكانية والآفاق السياسية والاجتماعية، ستكون مقياسا دقيقا لفشل أو نجاح النخبة السياسية القادمة أو الناتجة عن ظروف الاحتلال الأجنبي وانهيار حكم شمولي طويل والهيمنة حاليا على الواقع السياسي في ادارة بلد ذي استقلال شكلي تعصف به ذكريات الماضي البغيض ووقائع وتناقضات الحاضر القاسية.

* كاتب من العراق يقيم في جنيف